

التفسير اللغوي عند النحاة المحدثين (تمام حسان أنموذجا)
Linguistic Interpretation of Modern Grammarians
(Tamaam Hassan)

بكاي فتيحة^{1*}، عبد العليم بوفاتح²

¹ جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، fatihagoual560@gmail.com

² جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، abdelalimb1@gmail.com

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات

تاريخ الاستلام: 2022/02/06 تاريخ القبول: 2022/02/28 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص:

يعدّ تمام حسان من النحاة المحدثين الذين جمعوا بين التراث العربي والدراسات اللغوية الحديثة، في محاولة جادة لتيسير النحو وتطويره.

وسنسعى في هذه الدراسة إلى بسط بعض مفاهيم نظريته النحوية والأسباب التي جعلته يغشى ساحة القرآن الكريم وتفسيره بعين اللغوي وقلب الأديب، ما اشتمل عليه بناء النص القرآني من مباني اللغة ومغاني الأدب.

كلمات مفتاحية: تمام حسان، القرائن، تفسير، القرآن.

Abstract:

Tammam Hassan is one of the modern grammarians who combined the Arabic heritage with modern linguistic studies, aiming to facilitate and develop grammar.

* المؤلف المرسل: بكاي فتيحة

In this study, we attempt to present some concepts of his grammatical theory, and the reasons why he would cover the arena of the Holy Qur'an and its interpretation with an eye of a linguist and a heart of a writer.

Keywords: Tammam Hassan; Clues; interpretation; the Qur'an.

1. مقدمة:

نشأت الدراسات اللغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم ومحاولة لفهمه والتعمق في آية فنمت وتطوّرت في ظلّه، فهو كتابهم الذي يتعبّدون به وتنهض وفق دعائمه شؤون حياتهم وتنظم.

ومن بين العلوم التي أسهمت في خدمة القرآن وإعجازه: علم التفسير. فما هو علم التفسير؟ وما العلاقة بينه وبين التفسير اللغوي؟ وبماذا تميّزت تفاسير اللغويين القدماء؟ وماذا أضاف المحدثون من اللغويين الذين ولجوا ساحة القرآن الكريم؟

سنحاول في هذه الورقات تناول قضية التفسير عند القدماء والمحدثين من اللغويين مبرزين الأسباب التي دعت اللغوي تَمّام حسان إلى ولوج ساحة القرآن الكريم، إذ كان اهتمامه في بداية التأليف منصبا على نظريته في النحو الموسومة بنظرية "القرائن اللفظية والمعنوية" أو "تضافر القرائن"، وسنجهّد في بسط بعض مفاهيمها.

وهدفنا من هذه الدراسة هو رصد مدى تأثير هذه التجربة الفريدة في إبداع تمام حسان، الذي أراد الوصول إلى غاية جليّة تتمثّل في مشروع التفسير اللغوي للقرآن الكريم من خلال مؤلّفه "البيان في روائع القرآن" وما تلاه من مؤلّفات تصبّ جلّها في هذا المنبع الرّباني.

2. التفسير اللغوي:

لغة: التفسير: فسّر: الفاء والسّين والزّاء كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه (ابن فارس، 1979 م، صفحة 504).

وجاء في الاصطلاح "هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النّازلة فيها، ثمّ ترتيب مكّيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدّها، ومجملها ومفسّرّها، وحالها وحرامها، ووعدّها ووعيدّها، وأمرها ونهيّها، وعبرها وأمثالها"، أو علم يُفهم به كتاب

الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه..." (السيوطي، 1974م، صفحة 169).

والتفسير بذلك هو إيضاح وتبيين المراد من القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) الفرقان، الآية: 33.

ولا شك أن المفسر في كل الأحوال يحتاج إلى علوم ومعارف تعينه، ذكرها السيوطي في إتقانه، نوجزها فيما يلي (السيوطي، 1974م، الصفحات 185-188):

- ١ - معرفة اللغة العربية وقواعدها (علم النحو، الصرف، علم الاشتقاق..)؛
- ٢ - معرفة علوم البلاغة (علم المعاني والبيان والبديع)؛
- ٣ - معرفة أصول الفقه (من خاص وعام ومجمل ومفصل)؛
- ٤ - معرفة أسباب النزول؛
- ٥ - معرفة النسخ والمنسوخ؛
- ٦ - معرفة علم القراءات؛
- ٧ - معرفة علم الموهبة، " وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم".

وإذا لاحظنا جملة هذه العلوم التي اشتراطها العلماء في مفسر القرآن أدركنا أن اللغة أهمها في فهم القرآن وتفسيره فبه نزلت وأعجزت، كما أنها الركن الأول في عملية التفكير والوسيلة المثلى للتواصل والتخاطب والتفاهم، ولا يحصل البيان الكامل إلا بها، ولذلك لم ينزل القرآن إلا باللغة العربية، قال سبحانه وتعالى: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) الشعراء، الآية: 195.

3. اللغة

جاء في تعريفها:

- لغة: قال ابن سيده: اللغة اللسان، وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وقال غيره: هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وهي فُعْلَةٌ من لغوث، أي تكلمت

أصلها لغوة...وزاد أبو البقاء: ومصدره اللغو وهو الطرح، فالكلام لكثرة الحاجة إليه يرمي به، وحذفت الواو تخفيفا. (الزبيدي، 1994 م، صفحة 154)

- أمّا اصطلاحا، فقد اختلفت التعاريف حولها وتباينت، إذ عرّفها ابن حزم (ت 456 هجري) بأنها: " ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها ولكلّ أمة لغتهم ". (ابن حزم، 1983 م، صفحة 52)

فهي بذلك الوسيلة التي يحصل بها التواصل والتّفاهم عن طريق النطق بالألفاظ، إلّا أنّ القرآن الكريم يستوقفنا في بعض آياته، حين يجعل اللسان مرادفا للغّة، نحو قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) إبراهيم، الآية: 04.

هذا التّرادف أنكره كثير من النّحاة واللّغويين في القرآن جملةً وتفصيلا، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) آل عمران، الآية: 167، وقوله جلّ شأنه: (يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) الفتح، الآية: 11.

هنا ذكرنا بمعنيين مختلفين، يقول في ذلك الدكتور فاضل صالح السامرائي: " إنّ الأفواه أعمّ وأشمل من الألسنة، فإنّ اللسان جزء من الفم والمناسب أنّه إذا كان القول كبيرا عظيما ذُكرت الأفواه، وإذا كان أقلّ ذُكرت الألسنة مناسبة لكلّ حالة، فالسياق في آل عمران إنّما هو في المتخلفين عن القتال في أحد، إذ دُعوا فامتنعوا قائلين (لو نعلم قتالا لاتّبعناكم)، أمّا المذكورون في سورة الفتح، فهم المتخلفون عن عمرة الحديبية معتلين بالشغل، قال سبحانه: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۖ يَقُولُونَ بِاللِّسَانِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) الفتح، الآية: 11، فكان موقف التّخلي عن القتال أشدّ وأعظم من موقف المتخلفين عن أداء العمرة مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. (السامرائي، 2008 م، الصفحات 40-41)

أيّا كان اللفظ في القرآن يحمل معنى التّضاد أو التّرادف، فكلّ عبارة بل كلمة وحتى حرف إنّما وضعت موضعها الذي يناسبها، فكان لكلّ منها دلالتها التي تختلف عمّا سواها وذلك باللّجوء إلى السياق الذي يساهم في إجلاء هذه الفروق والمتشابهات.

ولكن، هل الاعتماد على اللغة وحده كاف للتفسير؟ على الرغم مما لهذه الأخيرة من أهمية في فهم القرآن الكريم والرّد على انحرافات بعض التفاسير، إلّا أنّها لا تعتبر المصدر الوحيد لذلك، خاصة عند حصول الاختلاف في فهم معاني الآيات، فيكون السّبق حينها للمعنى الشرعي على المعنى اللغوي، أي إنّ معرفة سبب النزول قد يبيّن المعنى المحتمل من دلالات اللفظ اللغوي، وبذلك يمكننا القول: إنّ التفسير اللغوي ينشد بيان معاني القرآن الكريم حسب ما جاء في لغة العرب مستعينا بكثير من العلوم والمعارف.

والمعروف أنّ انتشار الاسلام ونزول القرآن الكريم مفرّقاً حسب الحوادث على النبي صلى الله عليه وسلم استدعى تفسيره للصّحابة وتوضيح ما أشكل عليهم من معانيه، فكان صلى الله عليه وسلم أوّل المفسّرين لأنّه أعلم الناس بالقرآن، ودليل ذلك قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) التّحل: 44

فمن أمثلة تفسيره لقوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر) الكوثر: 1 إذ قال: "فإنّه نهرٌ وعدنيه ربّي عزّ وجلّ" (البلخي، 2002 م، صفحة 13)

إلّا أنّه سكت في الغالب عن تفسير القرآن والبتّ فيه، إذ لو فعل ذلك لما تجرّأ أحد من البشر بعده على اقتحام غمار النصّ القرآني، فكان ذلك دعوة للصّحابة بعده ممّن شهدوا التّنزيل وعرفوا أحوال المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، فتصدّى بعضهم لذلك، ولعلّ من أشهرهم عبد الله بن مسعود الهذلي (ت 35هـ)...

ومّا جاء في حديثه: لما نزلت: (والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الأنعام: 2، قلنا: يا رسول الله: "وأين لم يظلم نفسه؟" قال: "ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بِشِرْكٍ، ألم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: (يا بني لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم) لقمان 13 (الطيار، 2001 م، صفحة 65). فاجتهاد الصّحابة في فهم معنى الآية يعتمد بالدّرجة الأولى على لغتهم وما يروونه عن الرّسول صلى الله عليه وسلم، وإن اختلفوا أحيانا في دلالة بعض المفردات نحو قوله تعالى: (والمطلقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء) البقرة: 228، إذ اختلفوا في معنى "القرء"، وقد ورد في معناه قولان:

الأول: بمعنى الخيض، وبه قال عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب.

الثاني: بمعنى الطهر، وبه قال زيد بن ثابت، وعائشة رضي الله عنها، ومعاوية بن أبي سفيان وكلها اجتهادات اعتمدوا فيها على اللغة لبيان المعنى والكشف عنه (الطيار، 2001 م، صفحة 66).

4. تفاسير اللغويين القدماء للقرآن الكريم:

وبرزت من خلال علمين: علم غريب القرآن وعلم معاني القرآن (الطيار، 2001 م، الصفحات 124-125)، ومن الكتب المؤلفة آنذاك:

- معاني القرآن، ليونس بن حبيب البصري، التّحوي (ت: 182)؛
- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي، الكوفيّ، التّحوي، اللّغوي، أحد القراء السبعة (ت: 183)؛
- مشكل القرآن، لمحمد بن المستنير قطرب، البصريّ، التّحوي، اللّغوي (ت: 206)؛
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، الكوفيّ، التّحوي، اللّغوي (ت: 207)
- غريب القرآن، لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحيّ، الأديب، البصري (ت: 231).

5. طريقة التفسير اللّغوي في هذه الكتب:

ذكرها الباحث مساعد بن سليمان الطيّار (الطيار، 2001 م، الصفحات 128-130) موجزة

في:

- كثرة مباحث الصّرف والاشتقاق: خاصّة عند الفراء والأخفش، من أمثلة ذلك قوله تعالى: (ولا تقرّبوهنّ حتّى يَطْهَرْنَ) البقرة: 222.
- قال الأخفش: طَهَّرَت المرأة، فهي تطهّر، وقال بعضهم: طَهَّرَتْ، وقالوا: طَلَقَتْ تطلق، وطَلَقَتْ تطلق أيضا، ويقال للنفساء إذا أصابها النّفاس: نَفَسَتْ، فإذا أصابها الطّلق طَلَقَتْ.
- كثرة المباحث التّحوية: من ذلك قوله تعالى: (إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) القلم: 51.

قال الأخفش: وهذه "إن" التي تكون للإيجاب وهي في معنى الثَّقيلة، إلّا أنّها ليست بثقيلة، لأنّك إذا قلت: إن كان عبد الله لطيفاً فمعناه: إنّ عبد الله لطيف قبل اليوم، ف "إن" تدخل في هذا المعنى، وهي خفيفة.

● كثرة الاستشهاد من لغة العرب: ففي قوله تعالى: (لا يرجون لقاءنا) الفرقان: 21 عدّها الفراء بمعنى: لا يخافون لقاءنا، وهي لغة تَهَامِيَّة، يضعون الرّجاء في موضع الخوف إذا كان معه جحد، ومن ذلك قوله تعالى: (مالكم لا ترجون لله وقارا) نوح: 13، أي لا تخافون له عظمة.

● بيان الأساليب العربيّة الواردة في القرآن من حذف واختصار وترك المسبب وغيرها، وغايتهم من ذلك النصُّ على عريية القرآن والرّدُّ على الطّاعنين فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: (فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) البقرة: 196، فالعرب تؤكّد الشّيء وقد فرغ منه، فتقيّده بلفظ غيره تفهيمًا توكيدًا.

هذا وإن دلّ على شيء إنّما يبيّن إلمام علماء التفسير بمختلف علوم النّحو والصّرف وأساليب العرب في نظمها ونثرها.

6. مشروع التفسير اللغويّ عند الدكتور تمام حسان

انطلق الدكتور تمام حسان من موقف اعتزاز بالتراث اللغوي القديم، إذ جعل منه منطلقا لدراساته اللغوية، لكنّه رفض حصر اللّغة في دراسة القواعد والإعراب، إنّما دعا إلى تجديد النّحو وتطويره لا الإغلاق عليه وتقييده، ولفهم ذلك وجب علينا التّمييز بين المصطلحات التّالية:

● التّجديد:

هو " فكّ الحصار عن التراث النّحوي ليعود طليقا بعد الأسر، وبعث الحياة في المنهج النّحوي، ليعود غصّاً طريّاً بعد الجفاف، في محاولة لإصلاحه وتجديده في ضوء ضوابطه الفطرية، دون المعالجة الكلامية والتقسيمات المنطقية التي التزمت الحدود والرسوم في الإعراب وابتعدت عن النّحو في معانيه ومراميهِ الأخرى". (الصغير، 1990 م، صفحة 70)

هذا التجديد لا يقصد به إقصاء القديم، إنما إحياءه وإعادة بعثه بما يتناسب ومستجدات العصر والحاضر، إذ هناك فرق شاسع بين تحديد النحو الذي يتم فيه إحياء القديم وبعث الحياة في، والنحو الجديد الذي يحمل معنى الإبداع والإتيان بما لم يسبق له. ولا شك أن التجديد في النحو يحمل في طياته التبسيط والتيسير وربط المعارف بحاضرها بحيث تستسيغها العقول.

● التيسير:

هو تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصور التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين، فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو لا في النحو ذاته. (الحاج صالح، 1973 م، الصفحات 22-23)

وهذا ما استدعته الظروف الحاضرة من وجوب تقريب الفكرة وتبسيطها للمتعلمين الذين أصبحوا يشكون من صعوبة هذه المادة، بل ينفرون منها في أحيان كثيرة، ومن منطلق أن النحو بالنسبة لهم تعليمي، الغاية منه منفعية تتمثل في تحصيل العلامات، ورغم ذلك " اختلفت وجهات النظر فيه، فمن الباحثين من جعله مقصورا على تحديد النحو من الدخائل العقلية كالفلسفة والمنطق، ونظرية العامل وغير ذلك، ومنهم من يراه تقريب النحو لمستويات الطلبة، وجعله بعضهم تغييرا في الأحكام والقواعد بحيث تحصل السهولة المطلوبة، إذ إن غاية التيسير: التسهيل، والقضاء على كل صعوبة وعسر، وهو يجب أن يمس التركيب والإعراب، وأوقفه آخرون على اختيار الأسهل من آراء القدماء، وتخليص النحو مما شابته من عسر في الفهم، وصعوبة في التعليم. (نهر، 2011 م، صفحة 244)

فما هي العلاقة التي جمعت بين النحو والتفسير عند تمام حسان، وهل حاول في ذلك التجديد

والتيسير؟ وماهي غايته من التفسير اللغوي ولماذا ولج إليه؟

نفى الدكتور تمام حسان بدايةً في كتابه " البيان في روائع القرآن " أن يكون مؤلفه هذا تفسيرا للقرآن الكريم: " ليست هذه الدراسة محاولة لتفسير القرآن الكريم تفسيرا لغويا وأديبا، وليست محاولة أخرى للكشف عن إعجاز القرآن إعجازا لغويا أو أديبا. فقد كان اهتمام المؤلف منذ البداية متجهاً إلى الغايات

العملية التي أملت عليه أن يغشى ساحة القرآن متأملا بعين اللغوي وقلب الأديب ما اشتمل عليه بناء النص القرآني من مباني اللغة ومغاني الأدب.. " (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 3) وقد ارتبط هذا التأمل بعمل الدكتور تمام حسان في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) حينما تولّى بنفسه أمر مادة " دراسات لغوية وأدبية في القرآن"، فصادف أن كان طلاب المعهد في عامتهم من غير الناطقين بالعربية، فكان من الضروريّ النزوع إلى البساطة في التعبير وانتقاء ما تيسر فهمه على الطلاب " وهكذا أمسكتُ بالمصحف الشريف لأقرأه قراءة متأنية، ولأقيد ملاحظاتي اللغوية والأدبية على حواشي صفحاته، تمهيدا لما يتبع ذلك من الجمع والتبويب ... " (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 4)

هكذا انطلق العمل علمياً تعليمياً بالدرجة الأولى، إلى أن وجد الدكتور نفسه يفتح الباب على مصراعيه ويلج إلى رحاب القرآن الكريم " فلم يجد المؤلف لنفسه منصرفا دون الولوج إلى رحاب القرآن راجيا من الله التوفيق، وجاعلا عمله هذا قربانا في ساحة القرآن ". (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 4)

وللإشارة فمؤلف " البيان في روائع القرآن " كان بداية للفتح المبارك في كتاب الله الكريم، فحاء الترتيب على النحو التالي:

أ. البيان في روائع القرآن: صدر عام 1993م في جزء واحد، ثم صدر في جزئين عام 2000م، كان هدفه تعليميا بالدرجة الأولى تمّ فيه تحليل النصوص القرآنية ودراساتها دراسة لغوية وأسلوبية، بل هناك من يعتبره تطبيقا عمليا لنظرية القرائن اللغوية وتجسيدها لما جاء في كتابه " اللغة العربية معناها ومبناها ".

ب. خواطر في تأويل لغة القرآن الكريم: صدر عام 2006م، تأمل الأسلوب القرآني في ضوء التراث اللغوي العربيّ مستعينا بما جدّ من دراسات لغوية حديثة للوصول الى آراء وخواطر تتعلق بفهم النصّ القرآنيّ ومقاصده.

ج. اجتهادات لغويّة: صدر عام 2007م، انتهج فيه المنهج الذي سار عليه في كتابيه السابقين، واتخذ القرآن الكريم مصدرا لشواهده، بل جعله في الأغلب الأعمّ موضوعا لدراسته.

د. مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن: صدر عام 2010م، تناول اللغة عموما والقرآن على وجه الخصوص، ودرس النص القرآني من حيث التراكيب في البنية وأمن اللبس والاعتراض والالتفات والتكرار والتفصيل وغيرها.

هـ. الفكر اللغوي الجديد: وفيه دعوة للباحثين ليجدوا في البحث عن مطالب النص القرآني وإعطائه حقه من العناية والتأمل والسعي إلى الغوص في الدرس والوصول إلى ومضات من المعاني لم يصل إليها من سبقهم.

وقد أشرنا سابقا إلى الهدف التعليمي الجليّ في مؤلّف "البيان في روائع القرآن" فالدكتور تمام حسان حاول تقديم طرح لنظرية القرائن اللفظية والمعنوية وتقسيماهما مُنطلقا من فكرة أنّ النّحاة اهتموا بقرينة الإعراب دون سواها "لقد لقيت قرينة الإعراب من هؤلاء قدرا من الحفاوة جعلهم يتجاوزون النظر إلى وضعها بين قرائن النّحو إلى أن يجعلوها النّحو كلّ تقريبا، وبنوا على الإعراب هيكلا نظريا أطلقوا عليه "العمل النّحوي"، صيّرُوا هذا الهيكل غاية تقصد إليها دراسة النّحو وينتهي إليها فهمه ويسعى إلى تحصيلها تعليمه، وهكذا أصبح النّحو عندهم ضبط أواخر الكلم بحسب المعنى". (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 14)

ويضيف في موضع آخر: "كما كانت العلامة الإعرابية أوفر القرائن حظا من اهتمام النّحاة، فجعلوا الإعراب نظرية كاملة سموها نظرية العامل" (تمام، اللغة العربية معناها و مبناها، 1994 م، صفحة 79). فهو يرى أنّ العلامة الإعرابية غير مؤهلة لتحديد المعنى النّحوي وحدها، بل تحتاج إلى دعامة تتمثل في القرائن اللفظية والمعنوية التي وسمها بـ"تضايف القرائن"، فقد "وقع النّحاة ضحايا اهتمامهم الشّديد بالعلامة الإعرابية حين رأوا النّصوص تحمل الاعتماد على قرينة الحركة أحيانا، فتضحّى بها، لأنّ المعنى

واضح بدونها اعتمادا على غيرها من القرائن المعنوية واللفظية". (تمام، مناهج البحث في اللغة، 1986 م، صفحة 234)

فاعتماد قرينة واحدة غير كفيلا بتأدية المعنى المطلوب إن لم تتضافر مع غيرها من القرائن الأخرى، فقسّمها إلى لفظية تتمثل في العلاقات الملفوظة من بنية اللفظ والتضام والربط والترتبة والمطابقة والأداة ونعمة الكلام ودلالة السياق ...

ومعنوية كعلاقة الاسناد والتخصيص والتبعية والملابسة والغائية والمصاحبة والظرفية والإخراج، وهي لا تعمل منفصلة عن بعضها، بل تتجانس وتتكامل لإيضاح المعنى ورفع اللبس. (تمام، الخلاصة اللغوية، 2004 م، صفحة 24)

وقد لاحظ من خلال دراسته للنص القرآني تعدد المعاني الوظيفية للمبنى الواحد أيا كان نوع ذلك المبنى، وقدم أمثلة منها:

- "أل" التي تتعدد معانيها الوظيفية فتدلّ على الجنس أو العهد أو الربط أو الموصولية، نحو قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ) المائدة، الآية: 48، فالكتاب الأوّل معهود وهو القرآن بقرينة قوله: إليك، وبقريته الوصف، أمّا الكتاب الثاني فهو كلّ الكتب المنزلة قبل القرآن، ف "أل" هنا للجنس أي كلّ كتاب سابق للقرآن نزولا (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 22).

ومذهب الزمخشري في كشفه: "... أيّ فرق بين التعريفين في قوله: (وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) وقوله: (لما بين يديه من الكتاب ؟)) قلت: الأول تعريف العهد لأنّه عني به القرآن، والثاني: تعريف الجنس، لأنّه عني به جنس الكتب المنزلة، ويجوز أن يقال: هو للعهد، لأنّه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق، وإنّما أريد نوع معلوم منه، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن ((وَمُهَيِّمًا)) ورقبنا على سائر الكتب، لأنّه يشهد لها بالصحة والتّبات " (الزمخشري، 1999 م، صفحة 246).

ومّا جاء في تفسير الطبري: قال أبو جعفر: وهذا خطابٌ من الله تعالى ذكره لنبيّه محمّد "صلى الله عليه وسلم" يقول تعالى ذكره: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ "يا محمد" الكتاب"، وهو القرآن الذي أنزله عليه، ويعني بقوله: "بِالْحَقِّ" بالصدق ولا كذب فيه، ولا شكّ أنّه من عند الله، "مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب"، يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه، "وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ"، يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمّد، مصدّقاً للكتب قبله، وشهيذا عليها أنّها حقٌّ من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها". (إبن جرير، 1994 م، صفحة 377)

-ومن معاني "إنّ" في القرآن الكريم، حين ترد مكسورة الهمزة معنيين مختلفين، إمّا الشرط أو النفي، فمن شواهد دلالتها على النفي قوله تعالى: ((إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا نُنْزِلُ السَّمَاءَ الْآيَةَ 117، فهي نافية لوجود قرينتين: الأولى هي قرينة الإعراب وذلك لثبوت النون، أمّا الثانية فهي التّضام لورود إلّا مصاحبة لها (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 23)، وهو ما ذكره الزجاجي (337هـ) بقوله: (إن المكسورة المخففة لها أربعة أوجه: تكون جزاءً كقولك: إن تكرمني أكرمك، ونافية كقولك: إن زيداً إلّا قائمٌ معناه ما زيدٌ إلّا قائم، قال الله تعالى: ((إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)) معناه ما الكافرون إلّا في غرور، وتكون للتّحقيق مخففة من التّقيّة فيلزمها في الخبر اللام كقولك إن زيداً لقائم، وتكون زائدة كقولك لما إن جاء زيدٌ أحسنت إليه معناه لما جاء زيد، وقالوا إنّها تكون بمعنى إذ: كقوله تعالى: ((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (إبن إسحاق، 1984 م، صفحة 23).

7. نماذج من تفسير تمام حسنّ للقرآن الكريم

تظهر الغاية التفسيرية في بعض أوراق الفصول الأخيرة من كتاب "البيان في روائع القرآن"، من ذلك تفسيره لسورتي الواقعة والزّحان ويوسف، كما نجد تفسيراً مختصراً للسّور التّالية: الفرقان، الشعراء، التّمل، القصص، العنكبوت... وقد اخترنا سورة يوسف لغناها بالأحداث والدلالات، إذ حاول تمام حسنّ تحليلها تحليلاً قصصياً "الغاية التي نسعى إلى بلوغها من تناول هذه القصة بالتّحليل أن نكشف عن جانب بعينه من جوانب الأسلوب القرآنيّ وهو جانب القصص" (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة

551). ويعلّل اختياره لهذا القصة القرآنية دون سواها، لأنّها في رأيه الوحيدة التي جاءت في سورة خاصّة لم تتكرّر بورودها في غيرها، وقد جاءت تامّة كاملة فأراد بذلك أن يلقي عليها نظرة من خلال ما نعرفه عن منهج القصص الأدبي، فيقارن بين المنهجين: القرآني والأدبي، مع تأكيده على أنّه "ينبغي أن يكون النّظر إلى القصة القرآنية مختلفا عن النّظر إلى القصة الأدبيّة فهي ليست للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد ولا لفرض منهج نقدي عليها أيّا كان هذا المنهج لأنّ القصة القرآنيّة فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها ... " (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 551) تناولها من حيث الزمان والمكان والأشخاص والبناء والسرد والحبكة والغاية إضافة إلى دلالات النصّ.

• من حيث الزّمان: أشار إلى أنّ زمن حدوث القصة يبدو في عهد الهكسوس وهم غزاة استولوا على مصر حوالي عام 1700 ق.م بين الدولتين المتوسطة والحديثة، وقد جاءوا من الشرق الأدنى، وكونهم رعاة في الأصل ربما أشار إلى أنهم جاءوا من الصّحراء السّورية، أو من إقليم صحراوي آخر قريب منها، فهم في الأغلب ساميون (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 552) وقدّم الدكتور أدلة على أنّ يوسف عليه السّلام كان في عهد الهكسوس منها:

- بلوغ يوسف مرتبة التّمكين في الأرض والسيطرة على خزائنها ما كانت لتكون في عهد أيّ فرعون من الفراعين الأصلاء، باعتباره أجنبيا وافدا، أمّا الهكسوس الغريباء فليس غريبا عليهم أن يختاروا مشرقيا مثلهم، لاسيما إن كان صاحب رسالة إلهية.

- دعوتهم إلى عبادة إله واحد دون اعتراف بالآلهة المتعدّدة، سواء داخل السّجن أو خارجه، ((يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)) يوسف، الآية: 39-40، فلو أنّ هذه الدّعوة أعلنت في عهد أحد الفراعنة الذين يرون أنفسهم آلهة لعدّبو يوسف ونكّلوا به. (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 553)

• من حيث المكان: وقعت الأحداث في "بوسطة" عاصمة ملك الهكسوس في إقليم الشّرقية في حدود سيناء، وكانت قريبة إلى الصّحراء التي تعدّ مهرا عند الهزيمة، بل إنّ هذا الموقع قد يسرّ للقافلة أن تتبع

الغلام " يوسف " لأحد كبار المسؤولين في الدولة، وهذه حكمة أرادها الله تعالى الذي يقول: ((وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ)) يوسف، الآية 21. (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 553) ثم انطلق تمام حسنًا في تحليل القصة بداية بذكر شخصياتها، وهم: يوسف ويعقوب عليهما السلام، إخوته الكبار (لأبيه)، أخوه الأصغر (شقيقه)، أفراد القافلة السيّارة، العزيز وامراته، نسوة في المدينة، الفتيان (رفيقا السجن)، الملك، فتيان يوسف وخدمه.

هذه الشخصيات لها مميزات، عواطفها وأفكارها التي تحركها، حيث أن:

- تعلّق الأب (يعقوب) بابنيه الصّغيرين (يوسف وأخوه) بسبب تقدّم سنّه وخوفه عليهما، فكان أكثر رقة ولطفًا معهما.

- علاقة الإخوة: غيرة الإخوة الكبار ربّما لم تكن لو أنّ يوسف وأخاه كانا شقيقين لهما.

- محاولة القتل بسبب الحقد وتباين هذا الشعور بين الإخوة، فهناك أخٌ هو أكبرهم وأقلهم تأثّرًا بالبغضاء ((لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ)) يوسف، الآية: 10. وهو ذاته الذي قال لإخوته حين خلصوا نجيا: ((أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّنَا أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنَأْبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ ۖ أَيْ ۖ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي)) يوسف، الآية: 80.

- إعلان التوبة قبل الوقوع في الذنب، وهو دليل على أنّ القتل والإجرام ليسا من طبع إخوة يوسف ((أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)) يوسف، الآية: 09.

- محبة الأب لأبنائه وإشارته لاثّام الشيطان لا لأبنائه، لأنّهم نشأوا في حجر نبيّ ما كانوا ليسلكوا سلوك المجرمين، لولا الدوافع الطبيعية التي أرغمتهم على ذلك ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) يوسف، الآية: 5.

- موقف أصحاب القافلة الذين خرجوا للتجارة والترح، وفرحتهم بالغلام الذي وجدوه في الحبّ ((يُبَشِّرُنِي هَذَا غُلَامٌ)) يوسف، الآية: 19، وربّما يدلّ الحبّ على حياة البدو وكثرة الترحال من

مكان لمكان، وقوله تعالى: ((وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَحْسٍ ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)) يوسف، الآية 19-20. هكذا تشاور أفراد القافلة واتفقوا على بيع الغلام، إذ لا حاجة لهم به، لأنهم إن تركوه كان عليهم إعالتهم والإنفاق عليه من مالهم فيبوءوا بالخسارة دون الربح.

- إكرام العزيز للغلام بعد أن اشتراه، ربّما لكونه اكتهل دون أن يعقب ولداً ((أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)) يوسف، الآية: 21، فقرّبه إلى قلبه لما لحه من صباحة وجهه وقلّة حيلته واستسلامه لمصيبة الرّق.

- تحقيق امرأة العزيز لوصيّة زوجها في بادئ الأمر، ولما بلغ يوسف أشدّه أتاها الله حكما وعلماء، ومنحه ما يمنح أنبياءه من التّسامي فوق الشّهوات والعصمة دون الوقوع فيها حتى إن حدث منه التّزوّع إليها، فلما وقعت المراودة هيأ الله لنبيّه يوسف من الظروف ما يحول بينه وبين الخطيئة، وذلك أنّه ذكر إحسان العزيز إليه إذ أحسن قدومه ((وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ)) يوسف، الآية: 25. (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 556)

- شخصية الملك الذي يؤمن بالرّؤيا وسط قوم يرونها أضغاث أحلام، كما أنّه رجل غير متسلّط حين يقبل من أحد سجنائه أن يمتنع عن المشول بين يديه حتّى يسمع شهادة التّسوية الالائي قطعن أيديهنّ، وهو كريم إذ يمنح رجلا غريبا إدارة اقتصاد بلاده بل هي حقيقة وصل إليها تمام حسان مفادها التّقاء الرّجلين واجتماعهما في الأصول الشّرقية، ولا نعلم سببا يجعل الدكتور تمام حسان يعتبر هذه الصفات " جوانب توحى بالضعف أكثر ممّا توحى بالقوّة". (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 558)

- فتیان يوسف الذين وضعوا بضاعة إخوته في رحالهم، وصاحبي السّجن: هذه الشّخصيات كانت عوناً على تطوير شخصيّة يوسف في القصّة " فهؤلاء الفتية وأولئك من قبيل ما يعرف في وقتنا الحاضر باسم ' التّكرات المسرحية' الذين لا يظهرون أثناء أحداث القصّة إلّا في لحظات قصيرة" (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 558). وعليه، فالقصّة مبنية حول شخصية

مركزية هي يوسف عليه السلام، أما بقيّة الشخصيات فهي عون له على نسبة الأحداث إليه وتطوّرها وترباطها، هذا الترابط هو نظام الحبكة التي برزت وفق الثنائيات الضدية التالية: الخطيئة / المغفرة، صراع الشهوة / الفضيلة، الرّق / السيادة، الحمول / التفوق، الفشل / النجاح، اليأس/الفرح، المرض/الشفاء...

أما سرد القصّة فله منهجه الخاصّ الذي ينفرد به الأسلوب القرآني، وهو يمتاز بما يلي: (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، الصفحات 559-561)

- الترتيب الزمني: من طفولة يوسف إلى بلوغه أشدّه، إلى رجولته، حتّى ينتهي به الأمر إلى ولاية خزان الأرض و استقدام أبويه إلى مصر.

- عدم ذكر غير الضّروري من الأحداث، فالسّورة حافلة بحذف ما يقتضيه السياق من الحركات العضويّة والتفسيّة، وقد قدّم الدكتور تمام أمثلة على ذلك منها: قوله تعالى: ((وَجَاوَعَلَىٰ قَمِيصِي يَدِي كَذِبٍ (فلم يصدّقهم أبوهم) قال (لم يأكله الذئب)، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)) يوسف، الآية:18. وقوله تعالى: ((وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ (فوجدوا حاجة إلى الماء) فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ (ليأتيهم ببعضه) فَأَذَلَّ دَلْوُهُ (فتعلّق يوسف بالدلو فأخرجه الرجل من البئر فلما رآه) قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ (وعرضه على رفاقه فتشاوروا في أمره فقرّروا حمله معهم) وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً)) يوسف، الآية:19.

- الاختصار على الضّروري من وصف المناظر: فلا نجد إلّا عبارات قصيرة قليلة، منها: قوله تعالى: ((فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)) يوسف، الآية:70. وقوله تعالى: ((وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)) يوسف، الآية:100.

- ربط الأحداث المفردة بالغايات والآيات: إذ حافظ النصّ على ربط الأحداث بإرادة الله أن يُمكن ليوسف إذ يجتنبه ويعلمه ويتولّاه، ممّا ساهم في جعلها بنية قصصية محكمة.

يرى تمام حسن أنّ القرآن ليس كتاب قصص، إنّما هو كتاب دعوة، وكلّ دعوة لا بد أن تنطلق من إثبات صدق نفسها محاطة بالأدلة والبراهين، "ومن هنا نجد الآيات القرآنية تحافظ على بيان أنّ النبي عليه الصلّة

والسلام إنما يعرف هذه القصص عن طريق الوحي بدليل أنّ هذا القصص يعدّ بالنسبة إليه من قبيل الغيب ويتكرّر ذلك في القرآن في أكثر من سورة... قال الله تعالى: ((تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) يوسف، الآية: 1-3 (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، الصفحات 576-577).

والغاية من ذلك هي اطلاع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على قصص من سبقه من الرّسل والأنبياء أمام الكفّار والمشرّكين ليحاجّجهم ويثبت صدق رسالته، فقد ذكر الدكتور تمام حسان بعض دلالات النص القصصي، منها الصّريح ومنها الضّمني، نحو:

1- كون يعقوب عليه السلام كان يحسن تعبير الرؤيا، قال الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئَالٍ يَعْقُوبَ)) يوسف، الآية: 06، وبسبب هذا الإحسان أمر ابنه بآلا يقصّ رؤياه على إخوته لخوفه من كيدهم له، وحتىّ بعد هذا الكيد كان يعقوب يأمل في عودة يوسف ذات يوم. (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 578)

وهو ما ذهب إليه الطّبري: "... وفيها أيضا دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا، فإنّه علم من تأويلها أنّه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه، فإنّ الرّجل يودّ أن يكون ولده خيرا منه، والأخ لا يودّ ذلك لأخيه ويدلّ ذلك أيضا على أنّ يعقوب عليه السلام كان أحسن من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن تغلّ بذلك صدورهم فيعملوا الحيلة في هلاكه ...". (القرطبي، 2003 م، صفحة 172)

2- عصمة يوسف كانت عصمة عن الوقوع في الفحشاء لا عن التفكير فيها أو النّزوع إليها، فكان قدوم الرّوج وإحساس يوسف بهذا القدوم تدبير من الله سبحانه لوقاية يوسف من الوقوع في الفحشاء، ويدلّ على ذلك سياق الآية: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ)) يوسف، الآية: 24.

وهو يقارب مقاله الدكتور فاضل صالح السامرائي إجابة على سؤال مفاده: هل هم سيدنا يوسف بامرأة العزيز؟ فذكر أن التعبير أو السياق يدل على أن يوسف لم يهّم بها، وذلك أن (لولا) حرف امتناع لوجود، فالهمّ منتفٍ ممتنع لوجود برهان ربه، وإلا لم يكن لقوله: ((لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)) فائدة، ودعّم قوله بما جاء في البحر المحيط: "والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ البتّة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: (قارفت الذنب لولا أن عصمك الله تعالى) والتقدير هنا: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها. (السامرائي، 2008 م، الصفحات 103-104)

3- اختلف تمام حستان مع كثير من المفسرين في قراءة قوله تعالى: ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)) يوسف، الآية: 26.

جاء في تفسير القرطبي: " وشهد شاهد من أهلها لأتّهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب، فشهد شاهد من أهلها... وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة: الأولى: أنه طفل في المهد تكلم، قال السهيلي: وهو الصحيح، للحديث الوارد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ... وذكر فيهم شاهد يوسف، وقال القشيري أبو نصر، قيل فيه: كان صبيّا في المهد وهو ابن خالتها... الرابع: أنه رجل حكيم ذو عقل كان الوزير يستشير به في أموره... " (القرطبي، 2003 م، صفحة 172) لكنّ تمام حستان يختلف مع القرطبي وغيره، باعتبار الزوج هو الشاهد الوحيد الذي اطلع على هذه الفضيحة وأنه كان يريد كتمان خبرها ففضى فيها بنفسه وأدان امرأته وقال ليوسف لا عليك ((يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا)) يوسف، الآية: 29، أي لا تدع في الناس شيئا مما وقع (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 579).

4- لفظ "رب" يأتي في سورة يوسف بأحد معنيين:

أ- الله سبحانه وتعالى وذلك في الآيات التالية:

((وَكَذَلِكَ يُجَسِّدُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسِّمُ نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ)) يوسف، الآية: .

((قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)) يوسف، الآية: 98.

((هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)) يوسف، الآية: 100.

((إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ)) يوسف، الآية: 100.

((رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)) يوسف، الآية: 101.

ب- السيد الذي تجب له الطاعة والخدمة:

((إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)) يوسف، الآية: 23.

((لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّي)) يوسف، الآية: 24.

((أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا)) يوسف، الآية: 41.

((وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)) يوسف، الآية: 42.

((فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسئَلُهُ مَا بِأَلِ النَّسْوَةِ...)) يوسف، الآية: 50 (تمام، البيان في

روائع القرآن، 1993 م، الصفحات 579-580).

((إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ)) يوسف، الآية: 50.

5- ارتبطت أحداث القصة بالقميص في كلِّ مراحلها حتى أصبح قميص يوسف عنصرا من عناصرها،

فما دلالة ؟

يذكر فاضل صالح السامرائي أنَّ القميص استعمل ثلاث مرات، كلِّ مرّة في دلالة:

أ- بَيِّنَةٌ مَّزُورَةٌ للدلالة على هلاك يوسف وأكل الذئب إِيَّاه ((وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) يوسف،

الآية: 18.

ب- بَيِّنَةٌ صحيحة للوصول إلى الحكم وبراءة يوسف: ((قَالَ هِيَ رُوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

أَهْلِهَا ۚ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّن قُبُلٍ ۖ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) يوسف،

الآية: 26-28.

ج- بَيِّنَةٌ صحيحة للدلالة على نجاة يوسف وأَنَّهُ لَا يَزَالُ حَيًّا، وبشرى لوالده وسببا لردِّ بصره، وهو بَيِّنَةٌ

صحيحة بقرينة الرائحة التي تستعمل الآن في القضاء. (السامرائي، 2008 م، صفحة 146)

تنتهي السّورة بتعزية النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن عناد الكافرين فهو طبع في أكثر الناس ولن يؤمن هؤلاء حتى ولو حرص النّبي على هدايتهم، فهم معرضون عن التّذكّرة رغم أنّهم يَمْرُون على ما لا حصر له من آيات الله في السّماوات والأرض، وحتى لو أعلن بعضهم إيمانه بالله لشاب إيمانه الشرك، لأنّه يتقرّب إلى الله بعبادة الأصنام.

كما يذكّر الله سبحانه وتعالى نبيّه بأنّ كلّ الرّسل قبله كانوا بشراً يوحى إليهم، دعوا النّاس فلم يستجيبوا لهم، حتّى نصرهم الله فنجّى من شاء وعذّب من شاء، وإنّما قصصهم عبرة لمن كان له قلب، فهي واردة في الكتب السّماوية سابقها ولاحقها ليهتدي بها المؤمنون. (تمام، البيان في روائع القرآن، 1993 م، صفحة 582)

8. خاتمة

من خلال دراستنا البحثية الموسومة بالتّفسير اللّغوي عند النّحاة المحدثين، حيث كان تمام حسان أنموذجاً، استطعنا أن نخلص إلى جملة من النتائج:

- نشأت الدّراسات اللّغوية عند العرب خدمة للقرآن الكريم والبحث في بيانه وسر إعجازه، وكان علم النّحو مساعداً لعلم التّفسير في هذه الغاية الشّريفة فلم ينفصلا عن بعضهما خاصة أمام انتشار ظاهرة اللّحن وشيوعها.
- التّفسير اللّغوي جزء من علم التّفسير، واللّغة وإن كانت أداة طيّعة في فهم النّص القرآني، إلّا أنّها استعانت بعدد العلوم والمعارف خدمة للتّفسير.
- تفاسير اللّغويين القدماء ظهرت من خلال علمين: علم غريب القرآن وعلم معاني القرآن، وقد اعتمدت على كثرة مباحث الصرف والاشتقاق والمباحث النّحوية والاستشهاد من لغة العرب وبيان أساليبها من حذف واختصار وغيرها.
- انطلق الدّكتور تمام حسان من موقف اعتزاز بالتّراث اللّغوي القديم، لكنّه رفض حصر اللّغة في دراسة القواعد والإعراب، فجمع بين التراث القديم والمقاربات اللّغوية الحديثة.

- كان اهتمام الدكتور تمام حسان في مؤلفاته علميًا عمليًا بحثًا، إلى أن وجد نفسه يغشى ساحة القرآن الكريم، فكان "البيان في روائع القرآن" بداية لمشروع التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وتلته مؤلفات عديدة تصبّ في نفس المنبع.
- حاول تحليل بعض قصص القرآن ليكشف عن جانب من جوانب الأسلوب القرآني وهو جانب "القصص" ويقارن بين المنهجين: الأدبي والقرآني، مع تأكيده على أنّ هذا الأخير "القرآني" ليس للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد ولا لفرض منهج علمي نقدي عليه أيّا كان، لأنّ القصّة القرآنيّة فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- أحمد بن زكريا أبو الحسين ابن فارس. (1979 م). معجم مقاييس اللغة (المجلد ج 4). دار الفكر.
- أحمد، أبو القاسم محمود بن عمرو بن الزخشي. (1999 م). الكشف (الإصدار ط 1). الرياض: مكتبة العبيكات.
- الأندلسي ابن حزم. (1983 م). الإحكام في أصول الأحكام (المجلد م 1). بيروت ، لبنان: منشورات دار الآفاق الجديدة.
- الزجاجي عبد الرحمن ابن إسحاق. (1984 م). حروف المعاني و الصفات (الإصدار ط 1). بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- الطبري ابن جرير. (1994 م). تفسير الطبري (الإصدار ط 1). بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- جلال الدين السيوطي. (1974 م). الإتقان في علوم القرآن (المجلد م 4). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حسان تمام. (1993 م). البيان في روائع القرآن (الإصدار ط 1). القاهرة: عالم الكتب.
- حسان تمام. (1994 م). اللغة العربية معناها و مبناها. الدار البيضاء ، المغرب: دار الثقافة.
- حسان تمام. (2004 م). الخلاصة اللغوية. القاهرة ، مصر: عالم الكتب.
- فاضل صالح السامرائي. (2008 م). أسئلة بيانية في القرآن الكريم (الإصدار ط 1، المجلد ج 2). الشارقة ، الإمارات: مكتبة الصحابة.

محمد بن أحمد الأنصاري ، القرطبي. (2003 م). الجامع لأحكام القرآن الكريم (المجلد ج 9). الرياض، السعودية: عالم الكتب.

محمد حسين الصغير. (1990 م). نحو التجديد في دراسات الجوّاري. العراق: مطبعة المجمع العراقي.
مرتضى الزبيدي. (1994 م). تاج العروس من جواهر القاموس (الإصدار الطبعة الثانية). بيروت ، لبنان: دار الفكر.

مساعدة بن سليمان بن ناصر الطيار. (2002). التفسير اللغوي للقرآن الكريم. السعودية: دار ابن الجوزي.
مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي. (2002 م). تفسير مقاتل بن سليمان (الإصدار ط 1، المجلد ج 5). بيروت لبنان: دار إحياء التراث.

المقالات:

عبد الرحمان الحاج صالح. (1973 م). أثر اللسانيات في النهوض بمدرسي اللغة العربية. مجلة اللسانيات (4)، الصفحات 22-23.